العرب
الإثنين 2021/02/08
السنة 43 العدد 11965

رجل معزول يتوه بين زمن ماض وآخر آت

«نورمان» فيلم يفشل في تحقيق متعة اكتشاف الرحلة عبر الزمن

على الرغم من جمالية فكرة فيلم "نورمان" للمخرج جويل غويلزو والتي تطرح ثيمة الانتقال عبر الزمن التي تعدّ من الموضوعات المفضلة في سينما الخيال العلمي، إلاّ أن العمل فشل في تحقيق متعة الاكتشاف وما تستدعيه من مغامرات غير منتظرة.

طاهر علوان
كاتب عراقي

الانتقال عبر الزمن كان وما يزال من الموضوعات المفضلة في سينما الخيال العلمي بكل ما تحمله من مغامرة واكتشاف، انتقال لاختبار المجهول الزماني والمكاني بكل ما يحمله من تحديات وبكل ما تشتمل عليه الأحداث اللاحقة من إثارة.

لكن في المقابل وعلى قدر جمالية تلك الفكرة وجاذبيتها، هناك الشخصيات التي تجد نفسها وهي جبيسة الزمن الذي سافرت إليه، وتلك ثيمة مقابلة أخرى تكملها فكرة الذهاب إلى الزمن الخطأ.

وفي فيلم "نورمان" للمخرج جويل غويلزو، هناك مساحة للمغامرة في هذا الاتجاه، وهي الانتقال عبر الزمن مع مساحة وافرة للجانب النفسي والحياتي المرتبط بالشخصية.

يطرح الفيلم كما في العديد من أفلام الخيال العلمي المرتبطة بالانتقال عبر الزمن فكرة التوصّل إلى تقنية تحقّق ذلك الهدف الذي ظل يراود البشر منذ أمد بعيد، وكذلك قدّمته السينما منذ بواكيرها من خلال "الرحلة إلى القمر"، ذلك الفيلم الشهير من إخراج الفرنسي جورج ميليه والذي أنتج في العام 1902 عن قصة جول فيرن الشهيرة.

هنا يجد نورمان نفسه في المستقبل وسط تقنية الذكاء الاصطناعي التي تساعده في الوصول إلى هدفه، مع توفّر الأدوات التي يقدّمها له فريق علمي يجهزّه وينقله إلى الزمن الآخر. في البدء كنا قد شاهدنا نورمان وهو في زمن ماض، يجد نفسه في وسط معركة بأسلحة بدائية تقليدية يقاتل فيها خصوما نجهلهم في وسط الغابات ويجهز على الكثير منهم حتى تصيبه رصاصة تنهي حياته، لكن ها هو وقد سقط في وسط بيته وأمام أنظار جيني (الممثلة ميليسا كروترفيلد) التي تجلب له الطعام الجاهز وتحاول أن تفهم منه ما يتعرّض له.

ما بين جيني والفتاة الأخرى التي تمثّل الذكاء الاصطناعي يحاول نورمان أن يجد طريقه، فهو يعيش في عزلة شديدة، فلا يتواصل مع أحد ولا يزوره أحد، وبذلك تكون جيني هي الإنسان الوحيد الذي حاول الاقتراب من عالمه.

يزجّ المخرج حبكات ثانية باتجاه تحريك الأحداث والبناء الدرامي من خلال القيام بالتجربة والخطأ من خلال محاولات نورمان الخروج من طوق العزلة التي يجد نفسه فيها.

لكن عنصرا آخر مكملا لموضوع العزلة سوف تكشفه فتاة الذكاء الاصطناعي، وهو فقدان نورمان لوالديه في ظروف مجهولة، الأمر الذي يجعله منعزلا عن الآخرين، لكنه سرعان ما يطرد تلك الفكرة ويُسكت الصوت الذي يذكّره بذلك الماضي.

وإذا مضينا في ذلك الماضي، فإن سؤالا مريرا يلاحق نورمان وهو يجد نفسه في بيئة أخرى، لاسيما وهو يحارب بضراوة، لا لشيء سوى إنقاذ نفسه والعودة بالزمن مرة أخرى إلى ما كان. إشكالية زمانية مركّبة مع متغيرات مكانية، لكنها كلها لا تخرج نورمان من عزلته وحيرته، فهو يبحث عن جدوى ذلك الانتقال، وبذلك ركّز المخرج على الجوانب النفسية للشخصية وهي تعيش أزماتها الخاصة حتى لا يغدو الانتقال عبر الزمن حلا مناسبا.

> **الفيلم يكرّس فكرة الانتقال عبر الزمن مع مساحة وافرة للجانب النفسي والحياتي المرتبط بشخصية البطل المعزول**

> **المخرج جعل الشخصية تدور حول نفسها، دون تفعيل حبكات ثانوية تذهب بالأحداث إلى مناطق غير متوقعة**

ولعل من عناصر المعالجة السينمائية والإخراجية في هذا الفيلم هو اختيار الشخصية الواحدة لتكون هي محور الأحداث، ومع أن هذا النوع من المعالجة سوف يقودنا إلى تركيز الأحداث على الشخصية الواحدة مع إضعاف عنصر الحوار والتكامل أو الصراع مع شخصية أو شخصيات أخرى، إلاّ أن المخرج وجد في الذكاء الاصطناعي بديلا، فصوت تلك المرأة الروبوت هو الذي يحيطه من كل جانب ويكشف له عن جوانب أخرى تتعلّق بالشخصية.

وأما إذا عدنا إلى تلك الأداة التي يتم من خلالها الانتقال عبر الزمن، فقد شاهدنا في العديد من الأفلام تنوّعا واستخدامات شتى، ابتداءً من الدخول في إسطوانة أو ما يشبه الصندوق أو الوقوف تحت مسقط ضوئي، فإن نورمان يجب أن يتجهّز بارتداء بدلة كاملة تشبه بدلات رواد الفضاء، ومن ثم المكوث تحت المسقط الضوئي لغرض الانتقال عبر الزمن.

وأما لجهة الاكتشاف الذي نفترض أننا سوف نعيش تفاصيله أو تغيير القدر والتلاعب بالماضي، وهي من مميزات الانتقال عبر الزمن، لكننا هنا لا نجد الكثير من ذلك، والشخصية تدور حول نفسها وهي نقطة ضعف شديدة التأثير في هذا الفيلم، إذ عجز المخرج عن إخراج الشخصية من الدوامة التي تعيش فيها وعدم تفعيل حبكات ثانوية تعزّز تلك الدراما الفيلمية.

على صعيد الصورة والصوت، فقد كانت الصورة محملة بالكثير من التفاصيل وكذلك الصوت والمؤثرات والموسيقى، لكنها مجتمعة بقيت مؤطّرة بما سوف تفعله الشخصية لتغيير مصيرها أو للخروج من القوقعة التي هي فيها، لاسيما وأن حالة تشبه الإحباط ظلت تحيط بها على امتداد أغلب المساحة الفيلمية، كما أن الاكتفاء بالمشاهد الأولى للانتقال عبر الزمن والاشتباك في الغابة لم تكن كافية لكي نعيش مع الشخصية فكرة الانتقال عبر الزمن، وهي الفكرة الجوهرية التي اعتمدها مخرج الفيلم لغرض إقناعنا بما سوف يتوالى من أحداث.

هي رحلة عبر الزمن افتقدت حقا إلى الكثير من عناصر المغامرة والاكتشاف، ولم تضف كثيرا لذلك التراكم من الأفلام التي عالجت هذه الثيمة وبرعت فيها وقدّمت لنا تنوّعا ملفتا للنظر على الصعيدين الزماني والمكاني.

عزلة مُربكة

«زوال المشهد» مسرحية أشبه بلوحات فنية

عن نصّ جديد للكاتب البلجيكي جان فيليب توسّان، يقدّم أوريليان بوري مسرحية بعنوان "زوال المشهد" بطلها رجل أصيب بإعاقة عقب عملية إرهابية، فصار يجلس كل يوم أمام نافذة غرفته يدير خواطره في صدره بينما يتوارى المشهد أمامه شيئا فشيئا.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

للبلجيكي جان فيليب توسّان روايات تتميز بسرديات بسيطة، ليس للأشخاص والموجودات معنى غير معناها الخاص، وأسلوب يجمع بين الكآبة والسخرية، وعالمه منغلق يكاد ينحصر في التفاصيل الصغرى لأبطاله والفضاء الذي يتحركون فيه.

فاز بعدة جوائز أدبية كجائزة الكاتب الواعد عام 1986 عن روايته "غرفة الاستحمام"، وجائزة ميديسيس الفرنسية عن رواية "هروب" وهي أحد أجزاء رباعيته التي أسماها "حلقة ماري مادلين مارغريت دو مونتال"، والتي نشرها لاحقا في كتاب واحد تحت عنوان "م. م. م. م."، وقام بإعدادها بنفسه للمسرح، مثلما حوّل بعض رواياته إلى السينما، مثل "سيّدي" و"الإشبيلية" و"غرفة الاستحمام".

ومن اهتماماته أيضا رياضة كرة القدم، وقد نشر عنها كتابا يجمع بين المقالة والسرد، وكتابا عن نجم الكرة الفرنسية الأسبق زين الدين زيدان بعنوان "كآبة زيدان". تمّ اختياره عام 2014 عضوا في الأكاديمية الملكية للغة الفرنسية وآدابها في بلجيكا، خلفا للكاتب هنري بوشو.

"زوال المشهد" أو "تواري المنظر الطبيعي رواية لا تختلف كثيرا عن أعماله السابقة، فبطلها رجل مقعد في غرفة ضيّقة ينظر من النافذة إلى عالم لا ينفكّ ينحسر.

وقد عهد توسّان بالمخطوطة إلى صديقه الممثل والمخرج الفرنسي المعروف دوني بودالياس، الذي قال عنها إنها وقفة تأملية ينضح منها قلق كبير، هو قلقنا المشترك، ولكنه هنا يفقد اسمه وشكله وأبعاده، كلما ازداد، فيبدو إذ ينتشر كأنه يتبخّر، فيغدو عصيّا على الإمساك. والطريف أن توسّان أصرّ على عدم نشر روايته، وكان ألّفها عقب العملية الإرهابية التي ضربت بروكسل عام 2016، إلاّ بعد إخراجها للمسرح.

هذه المهمة نهض بها أوريليان بوري، بينما اختار بودالياس تقمّص دور الشخصية. فقد أحسّ منذ العنوان أن العمل وُضع له، لأنه مسكون بمسألة التواري، التي قال إنه يلاحقه في شتى أعماله، تواري الممثل، وتواري الفضاء...

وبقي السؤال: كيف يمكن عرض سيل من الأفكار والأحاسيس والاستذكار على الخشبة؟ ذلك أن العمل يتجاوز الفضاء ليهتمّ بالمناخ، بالجوّ السائد في غرفة. لأن الكاتب تخيّل بطله في أيامه الأخيرة، ينتظر الموت بعد أن تعرّض لعملية إرهابية، يتأمّل عبر نافذة غرفته شاطئ أوستند، حيث الماء والضوء يرمزان لأصل الحياة، فيما تبدو النافذة، كالمسرح، موضعا ينظر عبره الفرد إلى العالم.

وقد جعل المخرج بطله جالسا أمام نافذة وظهره إلى الجمهور، وطوال العرض يظل المتفرّج ينظر إلى شخص ينظر، كما هي الحال في عدة لوحات فنية.

والمفارقة أن عناصر المنظر الطبيعي تتوارى تدريجيا، بينما تتوارد الأسئلة تباعا حول التواري نفسه، بمعنييه الرمزي، أي الغياب، والملموس أي الموت، كلغز لم يفلح الإنسان في حلّه منذ أن وجد على الأرض، وحقيقة تحدّد سعيه وصيرورته.

وما يشاهده لا يني يتغيّر ويتحوّل، حيث استقرت حظيرة بناء وبدأت تشيد عمارة تسدّ الأفق تدريجيا. ولكن المنظر ليس خارجيّا فقط، بل داخليٌّ أيضا، حيث يعمد الرجل المقعد كلما انحسر الأفق إلى النظر إلى أعماقه، واسترجاع ما مضى من حياته، وإعمال فكره في معنى وجوده ومعنى إصابته ومعنى فنائه المحتوم.

يقول بطل الرواية "قضّيت نقاهتي في أوستند. ممرضة لا تتكلم الفرنسية (لعلها لا تتكلم إلّا الهولندية) كانت تجيئني كل يوم، فتحملني إلى السرير في المساء، وتساعدني في القيام صباحا. ينتابني إحساس بأن لا وجود لانقطاع في حياتي. مضت الآن ثلاثة أسابيع وأنا جامد في هذا الكرسي المتحرك، والأيام تتوالى متشابهة، أمام نافذة هذه الشقة. كم ستدوم نقاهتي، لا أدري. لا أشعر بالبرد، ولا ينقصني شيء. ليس لي أيّ ذكرى عن الحادث. هل صدمتني سيّارة؟ أم أني وقعت على الأرض؟ وهل وقعت في السلّم؟ أم هو اعتداء؟ لا أدري؟".

> **المسرحية تسرد يوميات رجل مقعد يقبع في غرفة ضيّقة ينظر من النافذة إلى عالم لا ينفكّ ينحسر**

ويسترسل "لا أشعر بالألم، ولا بأوجاع جسدية، ولكن يسكنني ذهول، ذهول لا بريم. لا أتذكّر نفسي، ومن أكون، وبالأحرى من كنت. رغم أن وعيي بالحاضر لم تشبُهُ شائبة، بل إنه صار حادّا منذ الحادث، كأن إلزام مجمل ملكاتي الأخرى جعلني أدرك اللحظة بانتباه مضاعف، مشحوذ، باتر. مع أنّ المشهد هو نفسه الذي يقع عليه نظري منذ ثلاثة أسابيع. التغيرات بسيطة، رهينة ساعات النهار، وتعاقب حركتَي المدّ والجزر، والدورة الثابتة للشمس، التي تشرق خلف العمارة وتغرب في الأفق، ونثيث المطر الذي يغطي صفحة زجاج نافذتي ويحوّلها إلى غربال تتلألأ فيه قطرات دقيقة وضباب".

كذلك يتحدّث، دون أن يتوجّه إلى الجمهور، لأنه يعيش محاولة لملمة ما تبقى من أفكاره وذكرياته بعد الحادث، والغاية ليست سردها لمن يسمع، بقدر ما هي غوص في أعماق الإنسان حين يصاب بمرض عضال أو حادث مؤلم، يجعل صاحبه ينظر إلى حياته، كما ينظر المرء عبر نافذة، وهي تنقرض يوما بعد يوم إلى أن تتوارى تماما. تلك اللحظات هي لحظات صدق يتقرّى فيها الإنسان ذاته، ويدرك ما لها وما عليها.

كل شيء في طريقه إلى التلاشي

ضرورة بوتشيلي

فاروق يوسف
كاتب عراقي

ساندرو بوتشيلي عاد ليقلق عيوننا وأذاننا وقلوبنا مرة أخرى. لا يتوقع المرء أن هناك لوحة منه لا تزال خارج المتاحف. ولكن ظهرت واحدة لتباع في مزاد سوثبيز بـ92 مليون دولار. "الشاب الذي يحمل ميدالية" هو عنوان اللوحة التي يُعتقد أنها رسمت في سبعينات أو ثمانينات القرن الخامس عشر.

عاش بوتشيلي بين عامي 1445 و1510 في فلورنسا، وكان مقربا من عائلة ميديتشي التي كانت عنوانا لعصر شهدت الفنون فيه ازدهارا للفن الراقي والرفيع، وكان بوتشيلي واحدا من أهم فناني ذلك العصر.

غير أن الفنان الذي بدأ حياته صانعا في محل للصياغة لا يزال قادرا على إثارة عاطفة من نوع خاص من خلال عمليه "مولد فينوس" و"الربيع". اللوحتان المعروضتان في متحف أولفيسي بفلورنسا لا تزالان نضرتين مثل موضوعيهما. حين رأيتهما أول مرة شعرت أن ذلك الحدث وحده يكفي سببا لأن أعود مرة أخرى إلى المدينة التي بدأ منها عصر النهضة.

قبل ذلك الحدث المثير كنت أفكّر في "بياتريس" حبيبة دانتي صاحب الكوميديا الإلهية، والذي خصها بواحدة من أجمل قصائده. بياتريس التي ماتت شابة لا يزال خيالها يرافقني كلما ألقيت بخطاي على جسر بونتي فيكيو الفريد من نوعه في العالم، فأشعر أن تلك الصبية لا تزال حية تعيش في جمال الفن الذي استلهمها.

تقول فلورنسا الشيء نفسه عن الكثير من كنوزها ودروبها وكنائسها وساحاتها وأسواقها. ليست فلورنسا من المدن التاريخية التي تقيم في الماضي والتي صارت أشبه بالمقابر. إنها مدينة حياة، لكنها حياة من طراز خاص.

لورنزو ميديتشي ترك حلمه العظيم طازجا ومضى. لا أعتقد أن الزمن أعطى رجلا مثل لورنزو، رجلا يمكن أن يُرى في الأبعاد الزمنية كلها.

بسبب بوتشلي يمكن القول إن لورنزو يمسك بالخيط الذي يصل بين الماضي والمستقبل. لوحات بوتشيلي ستُرى في المستقبل، لأنها ستبقى نضرة. الإثارة التي تحملها تلك اللوحات لا يمكن أن يصنعها سوى رسام عظيم بحجم بوتشيلي.

كم كان الجمال ضروريا من أجل تشبّث الإنسان بالحياة. شيء ما يجعله شبيها بالطريق التي تقود إلى الخلود. وهو ما من رؤية بوتشيلي من جديد مناسبة للتعرّف على الحياة من خلال جمالها.

لوحة «الشاب الذي يحمل ميدالية» أعادت بوتشيلي إلى الواجهة